اللسان العربي شعار الإسلام

للأستاذ عزالدين الخطيب التميمي

مدير الوعظ والارشاد
(الاردن)

التلازم بين الاسلام واللسان العربي تلازم وثيق العرى ، عميق الاثر ، اذ لايتصور الاسلام المؤثر دون العربية ، ولا يتصور انتشار العربية دون الاسلام ، لانهما متلازمان فى حقيقتهما ، ومتلازمان فى بقائهما ، ومتلازمان فى حركتهما وانتشارهما ، فان الاسلام والعربية طاقتان متحدتان احدثتا فى حياة الانسان آثارا عظيمة فى تقدمه الفكري والعلمي والخلقي والاجتماعي .

ومعرفة مدى هذا التلازم بين الاسلام واللسان العربي تقتضي معرفة مدى التلازم بين اللسان العربي وبين مصدر الاسلام الاول واعني به القرآن الكريم ، اذ لايمكن للمرء أن يحكم الحكم الصحيح على مدى التلازم بين أمرين متلازمين اذا ضرب صفحا عن بحث التلازم واستقصائه بين أصولهما ، بل لابد من تحديد التلازم بين الاصول الاولى لكليهما عندئذ يخرج بالنتيجة الصحيحة فى الحكم على مدى التلازم .

وذلك ان القرآن الكريم كتاب عربي اللغة عربي الاسلوب ، فانه اللفظ العربي الذي انزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما يدل عليه من معانيه ، ولذلك كان القرآن هو مجموع اللفظ المنزل والمعنى المشتمل عليه اللفظ ، فمعانيه وحدها ليست قرآنا ولا تسمى قرآنا ، والفاظه وحدها لا يتصور أن تكون دون معنى مطلقا لان اصل وضع اللفظ اللغوي قائم على ارادة معنى له . ولهذا فقد وصفه الله تعالى بوصف لفظه العربي ، قال تعالى « انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » . وقال « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون».

والقرآن الكريم كتاب بين العبارة ، سلس الاسلوب جزل الآداب ، فخم التعبير ، مستقيم الفكرة ، محدد الغاية ، منسجم الفكرة والغاية ، وقد ورد فيه آيات تدل دلالة قاطعة على التلازم الوثيق بين وضوح فكرته وبين عربيته ، قال تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » وورد فيه آيات تدل دلالة قاطعة على التلازم الوثيق بين عربيته وبين استقامة فكرته وانسجامها قال تعالى « ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون » . وورد فيه آيات تدل دلالة قاطعة أيضا على التلازم بين يسره وسهولته وبين عربيته قال تعالى « فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » ولسان النبي هو اللسان العربي والتعبير « بانما » فى الآية له دلالته على التلازم بين يسره وعربيته . ووضوح الفكرة واستقامتها ويسرها هي العناصر الرئيسية التي تحقق للفكرة الثبات والبقاء والانتشار وذلك كله يجعلنا نجزم بالتلازم الوثيق بين

(1) من كلام ابن تيمية

القرآن الكريم وبين اللسان العربي وبالتالي يجعلنا نجزم بأن التلازم بين الاسلام والعربية أمر مفروغ منه . لان التلازم قائم بين أساس الاسلام وهو القرآن وبين اللسان العربي ، بل ان سر اعجاز القرآن قائم على كونه عربيا فى اللغة والاسلوب ، ولست فى هذا الموطن فى معرض الحديث عن اعجاز القرآن وعن ادبه الشامخ وبلاغته الرفيعة واسلوبه المعجز ، لان الحديث هنا عن عربيته التي لم يخالطها شيء من الاعجمية قط قال تعالى « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي » بصيغة الاستفهام الانكاري مما يجعلنا نجزم بانه ليس فى القرآن لفظ غير عربي ، وأما ما قيل عن وجود بعض الالفاظ غير العربية فيه من نحو سجيل وقسطاس واستبرق فانها الفاظ عربية بالتعريب ، اذ كل لفظ معرب بطرق التعريب الصحيحة هو جزء لايتجزأ من اللغة العربية .

ومجمل القول ان العربية والاسلام متلازمان تلازما وثيقا وهما فى تفاعلهما وتأثيرهما اشبه بالمصباح المضيء، تياره الاسلام وجهازه الظاهر العربية وضوؤه المعاني السامية التي يستضيء الانسان بها فيحيى فى نور بعيدا عن الظلمات .

لغة الاسلام واحدة :

لابد لهذا الدين الذي نزل لجميع البشر على صعيده من لغة واحدة تبين عن عقيدته وتفصح عن حضارته ، وتنبيء عن أفكاره وتعبر عن مفاهيمه ، وتضم أحكامه وحكمه وقواعده وتوضح حقائقه ومراميه، ومقاصده على الوجه الاكمل ، ومن العبث ان يؤدى على وجهه الاكمل بلغات متناثرة تعبر كل لغة عنه بطريقة لاتنسجم مع اللغة الاخرى ، فلابد ان يكون بلغة واحدة ليكون له لونه الخاص به وذاتيته المتميزة عما عداه ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان أمة الاسلام أمة واحدة بنص القرآن الكريم قال تعالى « وان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » وقال « انما المؤمنون اخوة » وقد اخبر النبي عليه السلام أن افراد هذه الامة وشعوبها وحدة واحدة فى الفكر والشعور حيث قال «ترى المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وكيف يتوثق بينهم ذلك التواصل الفكري والوجداني اذا كانت لغاتهم مشتتة والسنتهم مختلفة ؟ اذن لامحيص من جمعهم على لسان واحد ليتسنى لهم تثبيت وحدتهم والتفاهم على مصالحهم قال ابن تيمية فى كتابه اقتضاء الصراط المستقيم « **اللسان العربي شعار الاسلام واهله** » ، واللغات من أعظم شعائر الامم التي بها يتميزون ، ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون فى الادعية التي فى الصلاة والذكر ان يدعى الله أو يذكر بغير العربية .

على **أن اللغة اية لغة لاتكفي للتوحيد بين الافراد والشعوب** اذا كانت مجردة من العقيدة والرسالة فالصراع بين القبائل العربية فى الجاهلية لم تمنعه اللغة العربية التي كان العرب جميعا يتحدثون بها ، ولم تحد هذه اللغة من غلواء هذا الصراع بل كانت القبائل العربية تزداد يوما بعد يوم فى تنافرها وصراعها . واللغة الانجليزية لم تكف فى توحيد الشعب البريطاني والشعب الاميركي فضلا عن انها لم تصلح لان توحد توحيدا صادقا بين الشعب الانجليزي والشعب الايرلاندي ، اذن لابد من عامل جوهري يلازم اللغة ويمتزج بها لكي يتحقق التوحيد والتأليف بين الشعوب ، ذلك العامل هو العقيدة الصحيحة الصادقة والنظام الصحيح المتجاوب مع فطرة الانسان ، وهذا لايتصور الا فى الاسلام الذي تعتبر العربية جزءا منه ، والقرآن يصرح بذلك تصريحا تاما فى كثير من المواطن . قال تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » اي بالاسلام الذي نعتبر العقيدة جزءا منه . وقال تعالى : « والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم » أي بالاسلام الذي تعتبر العربية جزءا منه .

وقد أراد الله تعالى اللغة العربية لهذا الدين لما فيها **من طاقة فذة فى التعبير** والبيان ولما فيها من المرونة والاتساع ، وهي أقدر اللغات على الاداء وأقواها فى الاشتقاق والنحت والتصريف وأغناها فى المفردات والصيغ والاوزان ، ومع هذا كله فهي مرنة غاية المرونة تتسع لتعريب أسماء الاشياء التي تجد فى حياة الانسان، وهذه الجوانب فى اللغة العربية تعتبر من العناصر الرائعة لقوة هذه اللغة وصلاحيتها للبقاء ، وحركة الترجمة التي حدثت فى العصور الاولى للاسلام تعطي الدليل الكافي على قدرة هذه اللغة ، اذا لم يكن هناك فن أو علم أو ثقافة أو فكر الا وفت هذه اللغة ببيانه ونقله لاهلها ، ولو كانت لغة قاصرة لما استطاع الاوائل ترجمة كل ما فى علوم الامم وثقافاتهم من مصطلحات فى مجال الطب والفلك والهندسة والكيمياء والرياضة ، ولما استطاع اساطين هذه العلوم الابداع فى التعبير عن آرائهم وملاحظاتهم الدقيقة .

المسلمون يدركون التلازم بين العربية والاسلام :

ويعتمد الاسلام فى بيان عقيدته الشاملة عن عالم الغيب وعالم الشهادة وفى تقرير خطوطه العريضة واحكامه الشاملة وقواعده العامة فى التشريع الخالد الصالح لكل زمان ومكان يعتمد فى كل ذلك على اللغة العربية بما فيها من طاقة فى الصيانة والشمول والمرونة والاتساع ، وقد أدرك هذه الناحية فى امتزاج الطاقة العربية مع الطاقة الاسلامية المسلمون الاولون فقد كتب عمر الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما : « أما بعد فتفقهوا فى السنة وتفقهوا فى العربية واعربوا القرآن فانه عربي » ، وفى قول آخر لعمر « تعلموا العربية فانها من دينكم » وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية يدل بصراحة تامة على ان **العربية من الدين** لاتنفصل عنه ولا ينفصل عنها وهما فى تفاعلهما كشجرة خضراء ممتدة الاغصان وارفة الظلال طيبة الاكل .

وقد استمد الفقهاء من هذه **الفكرة بعض الاحكام الهامة التي كان لها أثر كبير فى انتشار اللغة العربية بين غير العرب** من الناس ، منها : ــ

أولا ــ انه لايجوز للمسلم ان يتعبد الله تعالى فى الصلاة الا باللغة العربية تحقيقا لقوله تعالى « فاقرؤوا ما تيسر منه » اي من القرآن ، وقد قصر العلماء جميعا هذه الآية على قراءة القرآن فى الصلاة ، ولذا جعلوا القراءة فيها فرضا وهو انما يسره الله بلسان عربي مبين **فلا يقرأ الا بالعربية** ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال « صلوا كما رايتموني اصلي » وهو لم يصل الا باللغة العربية .

ثانيا ــ اذا كان رجل اعجمي اسلم حديثا واراد ان يصلي فهل يقرأ القرآن فى الصلاة بلغته لتكون صلاة صحيحة أم لابد من قراءة القرآن العربي ..؟ جميع الائمة على وجوب **القراءة بالقرآن العربي** والعاجز عنها يسكت فى الصلاة ولا يقرأ شيئا .

فمثل هذه الاحكام كانت ذات أثر كبير على انتشار اللغة العربية بين غير العرب من المسلمين لانه **يفرض عليهم أن يتعلموا العربية** ويحتم عليهم أن يقرؤوها فى صلاتهم قال ابن تيمية « واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر فى العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا » .. وقال « وأيضا فان **نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب** فان فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم الا باللغة العربية وما لايتم الواجب الا به فهو واجب » .

ويتبين من ذلك أن **انتشار العربية كان متوقفا على انتشار الاسلام** اذا لم يقدم غير العرب من المسلمين على تعليم اللغة العربية الا لما تحمله اليهم من الدين والحضارة والقيم وقد اشار القرآن بالاشارة اللطيفة الى ان العرب لم ينتشر ذكرهم الا بالاسلام الذي انعم به عليهم وعلى غيرهم قال تعالى « فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم . وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » اي عن هذه النعمة التي بسببها ارتفع ذكركم وانتشر بين الناس . لانه بلسان عربي مبين ــ وهو لسانكم ، نرد على ذلك ان **القرآن الكريم كتاب العربية الاول ومصدر فكر المسلمين** لاتمر على المسلمين ساعة من ليل او نهار الا ويتلونه فى صلواتهم وخلواتهم ، ويتدارسونه فى مدارسهم ويتلقون حكمه واحكامه فى مساجدهم ويتعبدون الله به فى بيوتهم ويستشهدون به فى أحاديثهم يقتبس منه شعراؤهم ويستشهد به خطباؤهم فهو فى كل بيت ومدرسة ومنتدى لا يغيب عن المسلمين طرفة عين وهو فى أعلى مراتب البلاغة والفصاحة فكيف لايكون له أثر فى تقويم تعابيرهم وذوقهم وأدبهم وسلوكهم ولهجاتهم ، ولو لم يكن هذا الكتاب موجودا بين ايدينا لرأيت العرب وقد انفصمت عرى لغتهم وتشعبت لهجاتهم بطريقة مخيفة رهيبة مذهلة .

التلازم فى التشريع وأثره :

وهذا التلازم بين اللغة العربية وبين نصوص القرآن والحديث جعل هذه النصوص ذات طابع متميز وخصائص فريدة رفعتها الى منزلة عالية لم يتطاول اليها تشريع سابق ولا يرقى الى منازعتها تشريع لاحق ولا عجب فى ذلك لان القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، ولان الحديث صاحبه لاينطق عن الهوى . قال تعالى « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى » .

ومن الامور المدركة لاولى العلم أن النصوص التشريعية الاسلامية ــ لغزارة معانيها العامة التي تتناول الكليات والجزئيات هي أصلح النصوص التشريعية ميدانا للفكر والعقل ، وأوسعها مجالا للتعميم ، وأخصبها تربة لانبات القواعد التشريعية العامة . يتمثل ذلك فى طبيعة جملها وطبيعة الفاظها وطريقة سبكها وصياغتها من حيث تناولها للمنطوق والمفهوم والدلالة والتعليل والمقايسة ، مما يجعل استنباط الاحكام منها متيسرا دائما شاملا لاعمال الانسان مهما تنوعت وتفرعت وتعقدت .

ولكن هذه النصوص التشريعية مع ملاحظة انها جاءت تشريعا لجميع الشعوب والامم ، تقضي بضرورة توفر الاجتهاد ، وبحتمية وجود المجتهدين كعامل أساسي

في تحقيق فاعلية هذه النصوص وايجابيتها وتطبيقها في كل وقت على الحوادث المستجدة في حياة الانسان والتي لاتدخل تحت الحصر ، ولولا الاجتهاد لبقيت الحوادث تتكاثر في حياة الانسان دون معرفة حكم الله فيها وبذلك تصاب الشريعة بالتوقف ولا تتقدم خطوة واحدة لاعطاء الانسان حلا لمشاكله الطارئة .

وبما ان النصوص التشريعية الاسلامية بمميزاتها وخصائصها تلك ، جاءت عربية اللغة والاسلوب كان من **اهم شروط الاجتهاد أن يكون المجتهد عالما باللغة العربية** وضروب تعبيرها ، واقفا على اسرار بلاغتها وعلى وجوه دلالة الفاظها وجملها على المعاني ، ويشترط ان يتوفر فيه المعلومات اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وما الى ذلك من علوم اللغة .

ولهذا كله **فقد اولى العلماء المسلمون عنايتهم بدراسة اللغة العربية وتقصيها واستقراء جوانب دلالات الالفاظ والجمل** فبحثوا — وبخاصة علماء الاصول — العموم والخصوص والاطلاق والتقييد والترادف والاشتراك والحقيقة والمجاز والمنطوق والمفهوم والامر والنهي ، نعم بحثوا كل ذلك بطريقة عميقة مستنيرة شاملة بحثا أصوليا تشريعيا ، مما لم يتيسر لامة تجاه لغتنا ودينا ، وبهذا يظهر الى اي مدى تتلازم اللغة العربية مع الشريعة الاسلامية في البقاء والانتشار .

ولهذا فقد **خرجت اللغة العربية بعد مجيء الاسلام من لغة قومية الى لغة انسانية عالمية وخرجت من لغة سيف وجمل الى لغة رسالة وحضارة ودين** ، حتى لقد اصبح من المستهجن على المسلمين ان يتحدثوا بلغة غير اللغة العربية ، وهذا المبرد في كتابه الكامل وهو في مجال رايه في تصنيف الناس الى نبلاء واخساء يعتبر احد الاخساء .. « رجل سمعته في مصر يتكلم بالفارسية » ، وهذا ابن تيمية يحمل بشدة على من يعتاد **الخطاب بغير العربية** في شؤون العامة ويعتبر تصرفه هذا منافيا لروح الاسلام ولغة القرآن ، يقول في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » ، واما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الاسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للعصر واهله ولاهل الدار وللرجل مع صاحبه ولاهل السوق او للامراء أو لاهل الديوان او لاهل الفقه فلا ريب ان هذا مكروه فانه من **التشبه بالاعاجم** .

ويذهب ابن خلدون الى ابعد من هذا فيرى ان **تعلم علوم العربية** من لغة وادب وقواعد وبيان ونحو وصرف ضروري **محتم على أهل الشريعة** « اذ مأخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب من الصحابة والتابعين وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة .

وبدافع هذه النظرة الى العربية وعلاقتها بالاسلام قام المسلمون المتقدمون عندما سكنوا أرض الشام والعراق وخراسان ومصر والمغرب واهلها يتحدثون بلغات اعجمية بتعويد اهل هذه الاقطار اللغة العربية حتى غلبت عليهم وانتشرت بينهم واصبح ابناؤها فيما بعد هم **رواد العربية** وحفظة لسانها ، ومعجمات اللغة وكتب النحو والصرف خير دليل على صحة هذا القول ، ويبدا **الزمخشري الاعجمي وهو في قمة علماء العربية** وفي قمة علماء التفسير يبدأ كتابه المفصل بقوله « الحمد لله على أن جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعرب والعصبية » .

العربية هي اللغة الرسمية للدولة الاسلامية :

ثبت ان النبي عليه السلام وجه الكتب والرسائل الى ملوك الدول في عصره يدعوهم الى الاسلام باللغة العربية وحدها ، ادعوك بدعاية الاسلام — أن تؤمن بالله وحده وعندما كانت هذه الرسائل تصل الى أصحابها يأمرون بترجمتها لادراك ما تحويه من معان واغراض .

وتمسك الرسول باللغة العربية في مخاطبته الملوك هو الاجراء السديد المنسجم مع عزة المؤمنين ومع علو رسالته وصدق دعوته ، فانه مرسل بالدعوة الاسلامية التي مصدرها هذا القرآن العربي في لغته واسلوبه ، والدعوة الاسلامية هي دعوة التوحيد في العقيدة والغاية ومن لوازمها توحيد النظام والفكر ومن لوازم ذلك كله توحيد اللغة التي يعبر بها عن ذلك كله والا اصيبت العقيدة والنظام والغاية بالاضطراب والفوضى فليس من السداد أن ينقض النبي دعوته بتبليغها بلغات متعددة والسنة مختلفة بل لابد من تبليغها بلغته هو والا كانت دعوة عابثة هزيلة .

وهكذا كان الخلفاء من بعده عليه السلام لايخاطبون الناس عربا وعجما الا باللسان العربي ولا يصدرون الاوامر والنواهي ولا يوجهون الكتب والرسائل الى الملوك والرؤساء في العالم الا باللغة العربية ولم تصدر الاحكام من لدن القضاء ولم تدرس الكتب في المساجد والمدارس والجامعات الا باللغة العربية وحدها ولهذا كانت **اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة** في الشؤون

الداخلية والشؤون الخارجية من زمن النبي عليه السلام الى أواخر عهود الدولة الاسلامية ؟

المستشرقون يدركون التلازم :

وقد ادرك هذا التلازم بين الاسلام واللغة العربية كثير من المستشرقين وادركوا ان الآثار العظيمة لهذا الدين انما ترجع الى **امتزاج الطاقة العربية مع الطاقة الاسلامية** ، وادركوا أن العربية فى وجودها التاريخي والواقعي انما هي **لغة العقيدة والدين** وبامتزاجها تنمو الشخصية الاسلامية وتتميز عن غيرها بقوتها وشموخها. فاخذوا يعملون على **فصل الطاقة العربية عن الطاقة الاسلامية وتعميق الهوة** بينهما بشتى الوسائل والاساليب الخفية والظاهرة **لتمييع الشخصية الاسلامية وانحلالها** وقد تأثر بآرائهم نفر من الكتاب حتى ظهر فى العالم من يهتم باللغة العربية اهتماما منقطع النظير يؤلف الكتب ويدبج المقالات ويلقي المحاضرات فى اللغة العربية وعن اللغة العربية على انها لغة قومية بحت ، فجعلوها لغة فن وحب وجمال ولغة شعر وعطور وازهار ليبعدوها عن كونها لغة العقيدة ، وعن كونها لغة التشريع والنظام ، وتحقيقا لفكرة الفصل بين الطاقتين ظهرت فكرة الدعوة الى **نشر اللهجات العامية** الهزيلة بين الناطقين بالضاد امعانا فى تفتيت وحدتهم اللغوية كما ظهرت فى الاجزاء فكرة ترجمة القرآن الى اللغات الاجنبية وظهرت فكرة **تغيير قواعد اللغة العربية** وفكرة تلقين حروفها وتلقين قواعدها كل ذلك من اجل وضع حاجز كثيف بين ابناء هذا الدين وبين مصدر دينهم الاول .

نتائج فصل الطاقتين :

وكان من الطبيعي أن ينتج عن فصل الطاقة العربية عن الطاقة الاسلامية قتل روح الاجتهاد فى الشرع الذي به تظهر صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان واصبح الاسلام بعيدا عن الاذهان فى روائع تشريعه ، وبعد أن كان اسلاما مؤثرا له سيادته التشريعية وله وجوده الدولي صار اسلاما فرديا تاليفيا يكتب عنه الكاتبون ويقرأ عنه القارئون ، واصبح تشريعه معلومات لا اثر له فى الحياة العامة يقتصر وجوده كنظام الحياة على بطون الكتب لايجد له متنفسا الى عالم الحياة كتشريع ينظم شؤونا ونظاما يحل مشكلات .

وقد نتج عن فصل الطاقة العربية عن الطاقة الاسلامية أن اصبح المسلمون موزعين بين أجنحة وجدانية مختلفة ، وتقاذفتهم تيارات فكرية متضاربة ففقدوا وحدة الفكر ووحدة الشعور ووحدة اللغة واصبحوا وليس لديهم شيء يقدمونه للعالم ويعطونه للانسانية واضحوا عالة على غيرهم فى الفكر والعلم والاخلاق والقيم ، بعد ان كانوا على جانب عظيم من الثراء المادي والثراء الفكري المبدع .

واصبحت اللغة العربية كذلك تائهة بين ابنائها ، وابناؤها تائهين فى شأنها لايعرفون عنها وعن طاقتها الا القليل ويترنحون على اصوات دعوات تدعوهم الى تركها والتمسك باظلاف العامية الرخيصة التي لاتتلاءم مع امة لها رسالة الخلود بين بني الانسان ، وقد غذيت الدعوة الى نشر العامية من قبل الذين يرون أن **اللسان العربي الفصيح سلم الى فهم القرآن** والسنة اذ فى تغذية العامية وتغذية انتشارها كسر لذلك السلم الذي يرقى به المسلمون الى فهم الكتاب والسنة ومراميها فى اسعاد الانسان ورفعة شأن المسلمين ، ولهذا فان الدعوة الى العامية دعوة مريبة عابثة ، والخوض فى تقصي اللهجات العامية واستقراء الفروق بينها خوض فيما لا طائل من ورائه ، فليحذر المخلصون من اضاعة جهودهم فى بحثها وبحث الفروق الموجودة بينها ، وليعملوا على واد الدعوة اليها ، وليفكروا فى انتشال ابناء امتهم من حضيضها الى قمة الفصحى التي يتفاهم على صعيدها ابناء هذه الامة مهما تباعدت اوطانهم ، واكثر من ذلك فقد اصبح ما كان يراه الاقدمون خسة هو النبل عند ابناء العصر الحاضر ، فاذا رأيت عربيا يتحدث برطانة الاجنبي ارتفع فى نظرك بعد أن كان فى نظر المبرد خسيسا ، واصبح متحليا بالنبل بعد أن كان ابن تيمية يراه مرتبكا مكروها .

كما صار بعضهم يصفها بالجمود تارة وبالقصور تارة اخرى ، وبأنها لاتستجيب الى مطالب الحياة الحديثة ويقوم نفر بالدفاع عنها بحرارة وحماسة ، وها هو الشاعر حافظ ابراهيم يستنكر على من يزعم أن اللغة العربية لغة عقيمة جامدة ويستهجن أن توصف بالقصور وعدم الاستجابة الى مطالب الحياة الحاضرة ، ويلوم اهلها على ضعفهم ويعبر عن استهجانه واستنكاره ولومه بأبيات من الشعر على لسان اللغة العربية ومنها :

أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادى بوادي فى ربيع حياتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي بها وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتسجيل اسماء لمخترعات

اتوا اهلهم بالمعجزات تفننا
فيأليتكم تأتون بالكلمات

مستقبل اللغة العربية متلازم مع مستقبل هذا الدين :

اللغة هي مجموعة من ألفاظ موضوعة للتعبير عن اشياء ومعان أي هي قوالب خاصة تشتمل على معان معينة والدافع الاصلي لوضع اللغة أية لغة هو ان الانسان كما قالوا قديما « مدني بالطبع يحتاج الى غيره من ابناء جنسه » ، فانه لايستطيع مطلقا أن ينفرد بالقيام بشؤون معاشه ولا يقدر أبدا أن يستقل بتحقيق ما يحتاج اليه من غذاء وكساء ومسكن ؛ فاجتماعه مع غيره امر تحتمه فطرته ولهذا فهو مضطر الى العيش مع غيره من بني الانسان اضطراريا فطريا فكان لابد من أن يعرف كل فرد غيره ما فى نفسه وأن يبين له ما يحتاج فبرزت الحاجة الى الفاظ يتعرف الواحد بها عما فى ذهن الآخر ويعرفه عما فى ضميره وهذا لايتأتى بشكله الصحيح الا باللغة .

فكان الدافع لوضع اللغات هو التعبير عما فى النفس تحقيقا لغريزة البقاء فى الانسان ، والعرب كغيرهم من شعوب الدنيا وهم من بني الانسان عاشوا معا فى بيئتهم فوضعوا الفاظا خاصة كونت على الايام اللغة العربية لتحديد معاني الاشياء التي تحيط بهم وتقع فى بيئتهم وقد اعتنوا بجمال الالفاظ وحسن هيئتها ؛ ولهذا كانت اللغة العربية قبل الاسلام لغة قومية بحتا ، وقد عرفت اللغة العربية بأنها عبارة عما حفظ من كلام العرب الخالص ونقل عنهم من الالفاظ الدالة على المعاني وهي لغة العرب البلغاء .

والحكم على اللغة قوة وضعفا يعتمد على مدى قدرة هذه اللغة فى التعبير والابانة عن الاشياء والمقاصد وفى الترجمة عن خلجات النفس واحاسيس الانسان ومتطلبات العقل وبقاء اللغة يعتمد اولا وآخرا على استعمال الفاظها من قبل الناس فاذا التزم الانسان التحدث بلغة كانت اللغة حية واذا هجرها اخذت فى الافول والموت .

ولهذا تعمل الدول دائما وباستمرار على نشر لغاتها وحمل الناس على التحدث بها لتبقى حية ولتستطيع الدول نشر آرائها وافكارها ونظمها بين الناس ، فمثلا استولت بريطانيا وفرنسا على عدد من اقطار العالم فكان لوجودها فى تلك الاقطار الاثر الظاهر فى نشر اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية بين شعوب تلك البلدان ؛ وتعمل كافة الدول المستعمرة على نشر لغاتها فى البلدان المستعمرة بكافة الوسائل وتجعلها اللغة الرسمية التي يجري بها التخاطب الرسمي ؛ الا ان الجماعات والشعوب مالم تقتنع بصواب عقيدة القوي وصواب غايته وشرف مقاصده ونبل مراميه بحيث يتصل ذلك بأحاسيسها فان الاستعمار يعمل على نشرها واذا تحقق انتشارها فى فترة من الزمن فانه لايكون لها بقاء بل يكون انحسارها امرا محتما .

فهناك فرق كبير بين انتشار اللغة العربية فى الاقطار التي فتحها العرب الاوائل وبين انتشار لغات الدول المستعمرة (بكسر الميم) فى الاقطار التي استولت عليها اذ يرجع انتشار اللغة العربية الى انها لغة العقيدة والدين والرسالة المنسجمة مع فطرة الانسان مهما كان لونه ومهما كانت لغته ؛ واما لغة المستعمر فانها لغة المستثمرين الجشعين الذين استولوا على الاقطار بدافع حب السيطرة وبدافع حب الاستغلال فتبقى لغتهم ما دامت سيطرتهم وما دام استثمارهم وتنحسر بانحسار سيطرتهم ، واما لغة العقيدة فتبقى ما بقي الدين .

ولاشك فى أن سيطرة الغرب السياسية والعسكرية والفكرية والاقتصادية على المنطقةالاسلامية لابد ان تزول مهما طال أمدها ومهما تبدلت صورها واشكالها ومهما نسجوا لها من مخططات لتبقى لانها قائمة على اساس متداع سريع التقوض والافول وليس لاصحابها فى نفوس المسلمين أية روابط من الود والاحترام والاخلاص فلسوف يتقلص هذا النفوذ وتلك السيطرة ، ولابد لهذا الكتاب العربي من العودة الى حياة المسلمين يتنفسون فى ظله انفاس الرضى ويعبون فى ظله ماء الحياة ولسوف ترجع العربية لغة قوية يتفاهم على صعيدها ابناء هذا الدين .